

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة : ٠٠٩٥ - تفسير آيات من سورة الأنعام - الهجرة.

٣٠-٠٨-١٩٨٥

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ، ولا اعتصامي ، ولا توكلّي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقرارًا بربوبيّته ، وإرغامًا لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ما اتّصلت عين بنظر ، وما سمعت أذنٌ بخبر .
اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راجم ولا تعدّ بنا فإنك علينا قادر ، وأطف بنا فيما جرّث به المقادير ، إنك على كلّ شيء قدير ، اللهم علّمنا ما ينفعنا ، وأنفعا بما علّمتنا ، وزدنا علمًا ، وأرنا الحقّ حقًا وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتنبّهون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ...

أيها الإخوة المؤمنون ؛ من آيات سورة الأنعام ، قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ * وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

[سورة الأنعام الآيات: ٣-٥]

وقفت عند المقطع الأخير من هذه الآية ، قال تعالى :

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥]

جاءهم الحق ، بين لهم القرآن الكريم أنّ الربا حرام ، وأنّ أكل مال الناس بالباطل حرام ، وأنّ إطلاق البصر حرام ، وأنّ شرب الخمر حرام ، فهذا الذي يستهزئ بآيات الله ، ويستخفّ بها ، ولا يُقيم لها وزنًا

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥]

نعوذ بالله أيها الإخوة من أن نقترف معصية ، وأن نظنَّ أنه بعد اقرارنا المعصية لم نفعل شيئاً !! والدليل لم يحصل لنا شيء ! هذا الذي لا يبالي بوعيد الله يستهزئ بوعيد الله ، فسوف يأتيه أنباء ما كان به يستهزئ .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ قال تعالى :

﴿وَلَا تَتَّخِجُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يَوْمِنَّ وَلَأَمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٢١]

هذه حقيقة ذكرها الله في القرآن الكريم ، من أخذها مأخذاً جدياً ، وفي زواجه أثر هذه الآية ؛ أثر ذات الدين فهو السعيد ، من تزوج المرأة لجمالها أدله الله ، ومن تزوج المرأة لمالها أفقره الله ، ومن تزوج المرأة لحسبها زاده الله دناءةً ، فعليك بذات الدين تربت يداك ، ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلَا تَتَّخِجُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يَوْمِنَّ وَلَأَمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٢١]

هذه آية في كتاب الله من أخذها مأخذاً جدياً ، وانطلق منها في بحثه عن زوجة سعد في الدنيا والآخرة ، ومن لم يأخذ بها فسوف يأتيه أنباء ما كانوا به يستهزؤون ، سوف يؤثر الجمال على ما سواه وعلى الدين ، وسوف يدفع الثمن باهضاً ، وسوف يقول : أنا أشقى الأزواج في الدنيا ، قال تعالى :

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥]

إما أن تصدق ما جاء في كتاب الله فتسعد في الدنيا والآخرة ، وإما أن تبالى ، أن تكذب ، وأن لا تقيم وزناً لهذه الآية فتدفع ثمناً عاجلاً وأجلاً ، في الدنيا وفي الآخرة ، قوله تعالى :

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥]

أي أن كل معصية لها جزاء في الدنيا وفي الآخرة ، إن لكل سيئة عقاباً تستطيع أن تلخص مآسي الناس كلها ، بأن كل مأساة وراءها معصية وكل معصية وراءها جهل ، لذلك طلب العلم فرض على كل مسلم ، طلب الفقه حتم واجب ، كل الناس هلكى إلا العالمون ، كُن عالماً ، أو متعلماً ، أو مستمعاً ، أو محبباً ، ولا تكن الخامس ، كل مأساة كبيرة أو صغيرة ، في المال أو في النفس أو في العرض ، كل مأساة وراءها معصية لله عز وجل ، وكل معصية وراءها جهل ، فعدوك الأكبر هو الجهل ، أعدى أعداء

الإنسان هو الجهل بشرع الله .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة النمل الآية: ٦٩]

آية أخرى مطابقة لهذه الآية تطابقاً تاماً عدا كلمة واحدة ، قال تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١١]

قال علماء اللغة الفاء وثم حرفا عطف ، كلاهما يفيد الترتيب ، دخل فلان ففلان ، دخل فلان ثم فلان ، لكن الفرق بين الفاء وثم أنّ الفاء تفيد الترتيب على التعقيب ، وثم تفيد الترتيب على التراخي ، وفي القرآن الكريم آيتان ؛ الأولى :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة النمل الآية: ٦٩]

والثانية :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١١]

يعني قد يحلف المرء يمينا غموساً أمام القاضي ولا يُغادر باب المحكمة إلا ويقع على الأرض مشلولاً ، هذه الحادثة توافق قوله تعالى :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة النمل الآية: ٦٩]

وقد يحلف هذا الإنسان يمينا غموساً ويأكل مال أخيه زوراً وبهتاناً ، ويعيش سنةً وسنتين وأربعة سنوات، وبعدها تأتيه الضربة القاضية ، هذه الحالة تنطبق عليها هذه الآية :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١١]

الأولى للترتيب على التعقيب ، والثانية للترتيب على التراخي ، فلا تغترب أيها الإنسان بحلم الله ، إذا كنت تزداد قوةً وغنىً ، وأنت تعصي الله عز وجل فأخذه لأن هذه الآية تنطبق على من يفعل هذا ،

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١١]

آية أخرى من سورة الأنعام ، وهي قوله تعالى :

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ﴾

[سورة الأنعام الآية:٢٦]

ينهون عن كتاب الله ، ويبتعدون عنه ؛ عن أحكامه وأوامره وعن نواهيه ، ويدعون الناس أن يبتعدوا عنه وعن أوامره ونواهيه ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَإِنْ يُلْهَوْا يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية:٢٦]

إنهم بهذا يهلكون أنفسهم حياة المرء بمعرفة الله عز وجل ، وموته بجهله لله عز وجل .

الفرق بين الذين يسمعون والذين لا يسمعون

لذلك قال تعالى :

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾

[سورة الأنعام الآية:٣٦]

من هم الذين يسمعون ؟ هم الذين يستجيبون لله تعالى ، قال تعالى :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[سورة النور الآية:٣٠]

يغضوا بصرهم ، ويمحق الله الربا ؛ ترك الربا ، وأحل الله البيع ؛ يبيع ويشترى ، كلما بلغه آية عن الله عز وجل فيها أمر ، وفيها نهي يستجيب لله ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية:٢٤]

فإن لم يستجب فالله سبحانه وتعالى وصفه بأنه ميت ، إنما يستجيب الذين يسمعون ، وكان ينبغي أن يقال والذين لا يسمعون يبعثهم الله ، قال تعالى

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية:٣٦]

بالمقابل والذين لا يسمعون يبعثهم الله ، ماذا قال تعالى :

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾

[سورة الأنعام الآية:٣٦]

ماذا يُقابل الذين يسمعون ؟ الذين لا يسمعون ، ماذا حلّ محلّ هذه الكلمة ؟ كلمة الموتى ، فالذين لا يسمعون يساؤون الموتى ، قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح يميت إنّما الميِّت ميِّت الأحياء

هذا الذي يسمع الحق ولا يستجيب له ، يأتيه الحق واضحًا كالشمس ولا يستجيب له ، هو عند الله ميِّت ، لذلك قال الله تعالى :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

[سورة النحل الآية: ٢١]

وهم في أوج حياتهم ، وأوج نشاطهم ، وقوتهم ، وجبروتهم ؛ أموات غير أحياء ، وفي آية أخرى قال تعالى :

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾

[سورة فاطر الآية: ٢٢]

هؤلاء المقبورون في شهواتهم ، وفي آية ثالثة ، قال تعالى :

﴿كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾

[سورة المنافقون الآية: ٤]

وفي آية رابعة قال تعالى :

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية: ٤٤]

وفي آية خامسة :

﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾

[سورة المدثر الآية: ٥٠]

يسعى ليلاً ونهارًا ، لا يعي على شيء كأنهم خشب مسندة ، منغمسون في شهواتهم إن هم كالأنعام بل أضلّ سبيلاً ، لا حياة في قلوبهم ، والموتى يبعثهم الله ، الله سبحانه وتعالى وصف الكفار بالموتى تارةً ، وبالخشب المسندة تارةً أخرى ، وبالأنعام مرّةً ثالثةً ، وبالْحُمْرُ الْمُسْتَنْفِرَةُ مرّةً رابعةً ، وبالخشب المسندة مرّةً خامسةً ، هؤلاء هم ، قال تعالى :

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٣٦]

يوم القيامة ليُحاسِبهم على شهواتهم .

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ إذا سمعت الحق فكن حياً ، أي استجب له ، وإن لم تستجب له فهذه علامة الموت ، الطبيب إذا شعر أن هذا الذي أمامه ميّت كيف يتأكد من موته ؟ للموت علامات ؛ يقيس نبضه ، فإذا كان سماع النبض صفراً بقي علامة ثانية يضع مرآة على فمه ، فإذا جاء عليها بخار الماء معنى ذلك هناك تنفس خفيف جداً ، فإذا بقيت المرآة لامعةً يضع ضوءاً شديداً في حدقة عينه ، فإذا استجابت القرحة وضافت فهناك حياة ، إذا كان النبض صفراً ، والتنفس معدوماً ، واستجابة القرحة معدومة فهذه علامات الموت ، عندها يقول عظم الله أجركم ، وهذه علامة موت الجسد أما علامة موت القلب أنك إذا أسمعته الحق لا يستجيب ؛ ميّت ، علامة موت النفس أنها إذا سمعت الحق لا تبالي ، تقول : هذا أساطير الأولين ، هذا كلام سمعناه سابقاً ، قال تعالى :

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٢٩]

ليس إلا هذه الدنيا ، هي الجنة أو النار ، إن كنت غنياً فأنت في جنة وإن كنت فقيراً فأنت في النار ، قال تعالى

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾

[سورة الجاثية الآية: ٢٤]

هذا الذي يقول كما قال تعالى :

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٢٩]

علامة موت القلب .

فيا أيها الإخوة المؤمنون ؛ سماع الحق مسؤوليّة ، عند بعض الناس يوم الجمعة يغتسل ويأتي إلى المسجد ، ويتعطر ، ويلبس أحسن ثيابه ، ويقول الخطبة جيّدة واستمتعنا بها ، ويذهب إلى البيت هو هو ، ومعاصيه هي هي ، ومخالفاته هي هي ، ودخله هو هو ، علامة الموت ، إن حضرت خطبةً ، أو حضرت مجلس علم ، وسمعت قول الله تعالى ينهى عن شيء أو يأمر بشيء ، ولم تستجب فهذه علامة الموت ، النفس ميّته ، فإن كانت ميّته فاسم وصف الله لها ؛ أموات غير أحياء ، قال تعالى :

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾

[سورة فاطر الآية: ٢٢]

وقال تعالى :

﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان الآية: ٤٤]

منغمسون في شهواتهم قال تعالى :

﴿كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُسَدَّةٌ﴾

[سورة المنافقون الآية: ٤]

لا يسمعون ولا يعقلون ، قال تعالى :

﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَفْرَةٌ﴾

[سورة المدثر الآية: ٥٠]

يعملون ليل نهار فإذا جاء أجلهم وجدوا ما في أيديهم صفراً .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ آيات بليغات من سورة الأنعام ، قال تعالى :

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥]

أي أمرٍ إلهي لم تقم له قيمة ، لم تعظّمه ، لم تخف من مخالفته فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون، قال تعالى :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١١]

لا تغترّ بالذي يعصي الله ويزداد قوّة وغنى ، سيأتيه يوم لا ريب فيه ، والآية الثالثة

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٣٦]

ليحاسبهم على أعمالهم ، والله سبحانه وتعالى أيضًا قال :

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٢٩]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ آية واحدة إذا طبقتها وتدبرتها وعقلتها خير لك من أن تقرأ القرآن كلّه قراءة هدرمة لا تعي فيها على خير ، آية واحدة ، مرّة قرأت آيةً وهي قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[سورة النساء الآية: ١]

شعرتُ أنّ هذه الآية تكفي الإنسان طوال حياته ، إذا كنت تحت مراقبة بشر كيف تكون ؟ مراقبة إنسان دونك بكثير ، يراقبك يُتابع حديثك وحركاتك ، أين تذهب ؟ أين تأتي ؟ متى تعود ؟ ومع من تلتقي ؟ إذا شعرت أنّك تحت مراقبة إنسان دونك بكثير كيف تتصرّف ، فكيف إذا تيقّنت أنّك تحت رقابة الله دائماً وأبداً ، قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[سورة النساء الآية: ١]

كيف تغشّ المسلمين ؟ كيف تنقصهم حقّهم ؟ كيف تبخسهم أموالهم ؟ كيف لا تتصحهم ؟ كيف توقعّ بينهم ؟ كيف تفرّق بينهم ؟ كيف تأخذ ما ليس لك ؟ كيف تستطيل على حقّ غيرك ؟ آية واحدة ، رسول الله صلى الله عليه وسلّم جاءه أعرابي قال له : يا رسول الله! عطني وأوجز ، قال :

((إذا كنت في صلاتك فصل صلاة مودع، وإياك وما يعتذر منه! واجمع اليأس مما في أيدي الناس))

[أخرجه المتقي الهندي]

فقال الأعرابي كفيت .

وهذه السورة تكفي الإنسان طوال حياته ، والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه السورة لكفت الإنسان طوال حياته .
فقال عليه الصلاة والسلام :

((فقه الرجل))

لم يقل فقه ، فمعنى فقه أي عرف الحكم ، وإنّما قال : فقه أي صار فقيها من سورة واحدة ، فما بال المسلمين اليوم يقرؤون كتاب الله من دقته إلى الأخرى ، وكلّ رمضان مرّة على الحد الأدنى ، وفي العام مرّة أو مرّتين وهم يأكلون مالا حراما ، ويعتدون ، ويأثمون ويعصون ، فقه الرجل ؛ آية واحدة .
أيها الإخوة المؤمنون ، إذا قرأتم القرآن تدبّروا آياته ، وقفوا عند حلاله وحرامه ، وقفوا عند أمره ونهيه، وخذوا الآية مأخذ الجدّ ، لا تقرأوا كما يقرأ عامّة الناس تبرّكا ، كلام خطير ، كلام يتعلّق بحياتكم وسعادتكم ورزقكم ، وعلاقاتكم الزوجيّة ، وعلاقاتكم مع الناس ، ومستقبل حياتكم ، وأخرتكم ، كلام كلّ قوانين مطبّقة سنتم أم أبيتم ، فإن خالفتم آياته دفعتم النّمن ، وإن طبّقتموها أخذتم النتيجة ، هكذا يقرأ القرآن ، آية واحدة إقرأها تدبّرّها طبّقها تسعد بها في دنياك وأخرتك .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزّن عليكم ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطّأنا إلى غيرنا وسيخطّي غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا محمّد الصادق الوعد الأمين ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمد صاحب الخلق العظيم .

الهجرة .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ مرّت قبل أيام رأس السنة الهجرية وعادة الخطباء أن يتّخذوا هذه المناسبة موضوعاً لخطبهم ، وأردت أنا في هذه الخطبة الثانية أن أتحدّث كلاماً موجزاً .
الهجرة بين مكّة والمدينة بعد فتح مكّة أغلق باب الهجرة ، لكنّه مفتوح بين كلّ مدينتين يُشبهان مكّة والمدينة ،

معنى الهجرة :

الهجرة أيّها الإخوة المؤمنون ؛ لئسّ انتقال إنسانٍ من مكانٍ إلى آخر ، ولكنّه موقف مبنيّ على إيمان ، مبني على معرفة ، ومبني على وعي من هدفه من الحياة ، هدفه الأوّل معرفة الله سبحانه وتعالى ، وإقامة شرعه ، فحيثما ضاق به الأمر على أن يقيم أمر الله ينبغي أن يهاجر إلى مكان يقيم فيه أمر الله ، هذا مبدأ الهجرة ، لكنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال فيما يرويه عن ربّه :

((عبادة في الهرج والفتنة كهجرة إلي))

[أخرجه الطبراني]

يعني إذا كنت في زمانٍ صعب ، القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر ، إذا كنت في مثل هذا الزمان ، يوم يُأمر بالمنكر ، ويُنهى عن المعروف ، يوم يُكذّب الصادق ويصدّق الكاذب ، يؤتمن الخائن، ويخون الأمين ، إذا كنت في زمان يكون المطر قيضاً ، والولد غيضاً ، ويفيض اللّثام فيضاً ، ويغيض الكرام غيضاً وإذا كنت في زمانٍ يبّر فيه الرجل صديقه ، ويعقّ والديه ، إذا كنت في زمانٍ صعب شحّت فيه السماء ، وضافت المكاسب ، وارتفعت النفقات ، إذا كنت في آخر الزمان ، وعبدت الله عبادةً خالصة ، فأنت مهاجر إلى الله ورسوله .

((عبادة في الهرج والفتنة كهجرة إلي))

[أخرجه الطبراني]

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((متى ألقى أصحابي؟ متى ألقى أحبائي، فقال بعض الصحابة: أو ليس نحن أحبائك؟ قال: أنتم أصحابي، ولكن أحبائي قوم لم يروني وآمنوا بي أنا إليهم بالأشواق))

[رواه أبو الشيخ]

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثيرٌ، ولكنكم غثاءٌ - ما يحمله السيل من وسخ - كغثاء السيل، ولنيز عن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن" فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حبُّ الدنيا وكرهية الموت))

[أخرجه أبو داود]

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :

((المهاجر من هجر السوء والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))

[رواه ابن عساکر]

ولو أُغلق باب الهجرة بين مكة والمدينة ، إذا عبدت الله مخلصاً لعبادتك في زمن الفتن فأنت مهاجر ، وإذا هجرت ما نهى الله عنه ، وما نهى عنه رسوله فأنت مهاجر ، إذاً باب الهجرة مفتوح على مصراعيه ، كل من استقام على أمر الله فهو مهاجر ، وكل من قبض على دينه وكأنه يقبض على الجمر فهو مهاجر ، وكل من أتى في آخر الزمان فطبق الدين تطبيقاً صحيحاً فشعر أنه غريب ، غريب عن الناس كلهم ، وكلهم يخالفون أحكام الدين ، ويصومون ، ويحجّون ، يختلطون ، ويأكلون مالا حراماً ، يطلقون بصرهم في الحرام ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء))

[أخرجه الترمذي]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت نستغفرك اللهم ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا

آخرتنا التي إليها مردُّنا ، واجعل الحياة زادًا لنا من كلِّ خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كلِّ شرِّ ،
مولانا ربَّ العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمَّن سواك ،
اللهم لا تؤمنَّا مكرًا ، ولا تهتِك عنَّا سترك ، ولا تنسنا ذكرك ، يا رب العالمين ، اللهم إنَّا نعوذ بك من
غُضال الداء ومن شماتة العداء ، ومن السُّلب بعد العطاء ، يا أكرم الأكرمين ، نعوذ بك من الخوف إلا
منك ، ومن الذلِّ إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحقِّ والدين وانصر
الإسلام وأعزَّ المسلمين ، وخُذ بيدِ وُلاتهم إلى ما تحبَّ وترضى إنَّه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة
جدير.